

السيرة الذاتية للعالم النفساني ألفرد أدلر.

Biography of psychologist Alfred Adler

د. خالد خياط

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة محمد خيضر
بسكرة. الجزائر.

د. حوحو ريان. (*)

جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر.
Houhourayane@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2019/11/ 04 تاريخ القبول: 2021/11/ 21 تاريخ النشر: 2021/10/ 09

تمثل موضوع الدراسة في عرض السيرة الذاتية للعالم النفساني ألفرد أدلر. هو أحد أهم العلماء الذين كان لهم الفضل في تأسيس علم النفس الحديث. كان أدلر طبيباً قبل أن يحول اهتمامه لعلم النفس الذي كان شغوفاً كثيراً به، وفي عام 1912 أسس مدرسته (النفسية الخاصة علم النفس الفردي). أكدت نظريته على أهمية النظرة الشاملة لشخصية الفرد ككل. واختار كلمة "فردي" للتأكيد على تميز واختلاف كل شخصية عن الأخرى، وأن كل فرد فريد من نوعه. في هذا المقال سنستعرض مسيرة حياة العالم النفساني ألفرد أدلر ومختلف أطوار ومحطات مساره العلمي خلال صياغة وتطوير نظريته في تفسير شخصية الفرد والعلاج النفسي.

الملخص

الكلمات الدالة السيرة الذاتية . ألفرد أدلر. علم النفس الفردي

Abstract: The subject of this study is the presentation of the biography of the psychologist Alfred Adler. he was one of the pioneers of psychology who had the privilege of establishing modern psychology. Adler was a medical doctor before turning his attention to psychology, which he was very interested in . In 1912 he founded his psychological theory on The importance which emphasized on holistic view. the individual term has been used to emphasize the distinctiveness and difference of each personality from the other, and that each individual is unique. In this article we will present the biography of the psychologist Alfred Adler and the various phases stations of his scientific career when he was elaborating his theory in the conception of the personality and therapy.

Keywords: Biography. Alfred Adler. Individual psychology.

* المؤلف المرسل.

1. مقدمة:

ألفرد أدلر عالم نفسي مجري من الطبقة شبه برجوازية. عاش كفاح مع حالته الصحية في طفولته وكان في فراش الموت، ولكنه كافح من أجل البقاء على قيد الحياة واستطاع التغلب على الضعف الجسمي لديه من خلال مواجهة المرض وتحقيق أهدافه الغائية في الحياة، لذلك اختار مهنة الطب ولكن سرعان ما غير توجهه لأجل رغبته الملحة واهتمامه بالجانب النفسي للفرد. أصبح أدلر من عظماء علم النفس الحديث وقد أسس مدرسة "علم النفس الفردي". اختياره لمصطلح علم النفس الفردي ليعبر عن فكرته حول الشخصية لأنه كان شغوفاً في البحث عن التفرد في كل فرد وكل شخصية. وهذه المدرسة من ضمن المدارس المهمة التي اهتمت بالفرد وبأسلوب حياته، والتي تعتبر الإنسان كائن اجتماعي لا يمكن أن يعيش في عزلة عن العالم الخارجي حيث وجه أدلر اهتمامه لدراسة الجانب الاجتماعي التكافلي للفرد واتخذ كمقياس للصحة النفسية.

2. طفولة ألفرد أدلر:

ألفرد أدلر هو الابن الثاني من عائلة مكونة من ستة إخوة. ولد ولد يوم 07 فيفري 1870 بـبرودلفيشام وهي مقاطعة في مدينة فيينا.⁽¹⁾ كان أبوه يميل بحبه نحو أدلر أكثر من إخوته، كونه عاش طفولة صعبة وهو مريض طريح الفراش. وصف أدلر أمه أنها كانت دائما حزينة وكثيرة التضحية في سبيل الآخرين. توفيت أمه في سن الثالثة وهي نائمة بجانبه في فراش واحد. ترى أدلر في ظل أخيه الأكبر الموهوب والناجح ومع أسرته.⁽²⁾ عرف أدلر بالضعف البدني، كان سقيما وغالبا عرضة لأزمات احتناق وضعيف المقاومة. توفي أخوه الأصغر وهو في سن الثالثة من العمر بسبب الدفتيريا. ولقد عانى هو بذاته من مجموعة من الأمراض كما انه أصيب في سن الرابعة بإصابة خطيرة بداء الرئة⁽³⁾، أصيب بالكساح مبكرا أيضا فلم يستطع المشي إلا في السن الرابعة، وبعدها أصيب بالتهاب رئوي حاد في سن الخامسة كادت تؤدي بحياته. لذلك حظي بدلال كبير من طرف والديه.⁽⁴⁾ في المدة التي كان فيها طريح الفراش سمع أدلر الحوار الذي دار بين أبيه والطبيب أوحث له أن موته قريب، ف شعر بالخوف من الموت بقوة إلى درجة

الغرق فيه. عندما شفي أدلر قرر أن يصبح طبيبا. أول سبب لهذا الاختيار فكرة أن كونه طبيبا يجعله أكثر تسليحا ضد الموت.⁽⁵⁾

كان الطبيب شخصا متميزا في نظر أدلر حيث أنه في سن الرابعة نتيجة لهذه المعاناة كون أدلر ميلا نحو دراسة الطب من أجل القضاء على هذا المرض القاتل.

عندما التحق أدلر بالمدرسة كان طالبا عاديا، حيث أن أحد المدرسين اقترح على والده أن يؤخذ ابنه من المدرسة ويعلمه حرفة صناعة الأحذية.⁽⁶⁾ كان الفرد تلميذا متوسطا استغرق وقتا طويلا لإقناع والده بتدريسه. ولقد كان ضعيف في الرياضيات إلا أنه في إحدى المرات أدهش معلمه خلال تمرين جعل المعلم حائرا عندما شرع أدلر في صياغة حله كان محل سخرية زملائه وابتسامات المعلم. رغم حرجه لم يفقد أدلر شجاعته بل واصل برهانه على أن المسألة لم تكن مطروحة بشكل سليم وبالتالي لم تكن قابلة للحل. واعتبارا من ذلك اليوم أصبح أدلر رياضيا جيدا بين زملائه.⁽⁷⁾ وفي سنة 1888 اجتاز اختبار الماتورة (امتحان مجلس المدرسة) ليشرع بعده في دراسة الطب بجامعة فيينا.

3. أدلر الطبيب:

سنة 1895 تحصل أدلر على الدكتوراه في الطب من جامعة فيينا، ليشغل كمتربص ممارس في عيادة بفيينا، اختار تخصص طب العيون لكنه سرعان ما تخلى عنه ل يبقى طبيبا عاما. ثم أصبح بعد ذلك مساعد نائب طبيب.⁽⁸⁾ معرفته بعلم التاريخ وعلم النفس والفلسفة الألمانية (خاصة شوبنهاور وكانط ونيتشة) وقراءاته للتوراة وأعمال شكسبير والتراجيديات اليونانية وكذا فصاحته الطبيعية، كل ذلك جعله قبلة الأنظار في المقاهي الأكثر شعبية بفيينا. انشغل بالمشاكل الاجتماعية الأليمة للخياطين، إثر ذلك ألف أدلر سنة 1898 كتيبه المشهور "الصحة من أجل حرفة الخياط" وهو أول كتاب له رافقه محاضرات حول ضعف صحتهم أدهشت الرأي العام إلى درجة أدت إلى إجراء إصلاحات اجتماعية لصالحهم.⁽⁹⁾

اتجه حديثه في كتيبه نحو إبراز العلاقة بين الحال الاقتصادية والأمراض المختصة بحرفة معينة وكذا عرض الأخطار الصحية العمومية الناتج عن تدني مستوى المعيشة. لا طبيب يمكنه أن

ينشغل بمفهوم كهذا يسمح بدراسة الإنسان "كنتاج للمجتمع لا كنتاج معزول". ومن هنا انطلق في شق طريقه باتجاه علم النفس في أن يصبح طبيباً نفسانياً.

4. أدلر العالم النفسي:

في احد المرات سمع أدلر لأول مرة فرويد يعرض أفكاره - سنة 1899 أو 1900 - أمام جمعية أطباء فيينا. كان أدلر قد عرف كتاب "تفسير الأحلام". لاقى مؤسس التحليل النفسي معارضة عنيفة وجارحة. شهد أدلر تلك الأحداث أحس بانزعاج عبر عنه في مجلة فقدم تقريراً حول عرض فرويد وطالب في ختامه بمناقشة الأطروحات الأصلية هذه مع مؤلفها. تبعاً لهذا بعث فرويد برسالة إلى أدلر أخبره فيها أنه يعتبر مقاله أحسن ما كتب عنه (أي فرويد). فكان أول لقاء بين رجلين على أعلى درجات التباين.⁽¹⁰⁾

سنة 1902 شرع أدلر في تقديم منشورات في الطب الاجتماعي. وفي نفس السنة لما أراد فرويد الخروج من القوقعة الجبرية التي انحصر فيها دعا كلا من "كاهان" و "رايتل" و "ستيكل" و "ادلر" لتشكيل فوج عمل مساء الأربعاء والذي أصبح أول جمعية للتحليل النفسي. دعي أدلر لأنه دافع علنياً عن فرويد بطريقة موضوعية.⁽¹¹⁾

5. الاختلاف بين أدلر وفرويد:

إن الجوهر الأساسي في العلاقة الذي جعلهما مترابطين هو أنهما كانا فييناويين وانحدرا من عائلتين شبه بورجوازيتين وكان كلاهما يهودياً. إلا أنهما كانا مختلفين عن بعضهما في العديد من الأمور التي جعلت من التفاهم بينهما شبه مستحيل وبالأخص في الأفكار النظرية بينهما في تفسير الحياة النفسية والشخصية والاضطرابات النفسية.

فرويد وأدلر كانا مختلفين تماماً في شخصيتهما وفي عائلتيهما وفي كل شيء تقريباً. ترعرع في بوكراكن بقاليسيا الشرقية. رحلت العائلة لتستقر بفينا على أمل -متقاسم مع العديد من العائلات المشابهة- في تحقيق الأمن البورجوازي بضمان الرفاهية والتقدير.

كان فرويد منحدرًا من منطقة تسيطر فيها العقيدة على الأرواح تماماً على عكس والد ألفرد أدلر. هذا الأخير قدم إلى فيينا من برجلند، الضاحية الناطقة بالألمانية والقليلة التواجد

اليهودي. بالطبع كانوا يحبون في بيته الأعياد اليهودية ويذهبون إلى المعبد أيام السبت لكن يهوديتهم كانت ضعيفة المحتوى ولم تترك أثرا لها في روح ألفرد أدلر. وفق هذا المنظور يتذكر ألفرد في إحدى ليالي عيد الفصح أنهم انتظروا قدوم نبي لكنه كان يشك في إمكانية قدومه: "في الحقيقة كنا ننتظر - دون أمل صادق - ظهور النبي "إليا" فوق عتبة الباب".

تقطن عائلة فرويد في حي يهودي بينما تقطن عائلة أدلر في حي بالضواحي يقل فيه التواجد اليهودي حيث لم يكن الصبي ألفرد يلتقي إلا صبيانا مسيحيين باستثناء بعض الحالات النادرة. أصدقاؤه لم يدركوا حتى كونه يهوديا لأنه لم يكن يحمل أيا من ملامح النمط العرقي اليهودي وبالتالي لم يتعرض لأي مضايقة عنصرية قبيحة، ربما لهذا لم يلاحظ ألفرد باختلافه عن الناس الذين يلتقيهم في الشارع ولا باحتمال أن ينظروا إليه على أنه ذو أصل يهودي؛ فخلافا لفرويد. أحس ألفرد منذ البداية بـ "شعور الانتماء" ولم يحس أبدا أنه أجنبي. كما أن خطابات فرويد كانت بلهجة الضواحي حتى لما يتكلم باللغة الألمانية؛ هذه اللهجة الفيناوية الطبيعية في نطقه والتي لا يحاول إخفاءها. إحدى الاختلافات الأخرى هي اعتناق أدلر للنصرانية. هذا التنصر كان بدون شك أحد العوائق التي منعت فرويد من منح ثقته التامة لمعاونيه أدلر. لقد اعتبر هذا خيانة مرتكبة بفعل النفعية وبالتالي حكم عليه بالخيانة والذنب.

أدرك أدلر مبكرا أنه لا يستطيع منح فرويد الرضا التام الذي ينتظره بل ويشترطه ضمنا على المحيطين به، فخاطب ألفرد أدلر كتابيا فرويد سنة 1904 معلنا أنه لن يشارك مجددا في الاجتماعات. لكن فرويد رفض هذه الاستقالة وأقنعه ملحا بالرجوع إلى الحلقة فعاد من جديد.

في البداية آمن أدلر بإمكانية بناء علم نفس على قاعدة دراسة النزوات وانتظر من ذلك نتائج قابلة للفحص العلمي وبوسعها التوضيح الكامل لعملية النمو النفسي. نعلم أن فرويد سعى إلى طرح قواعد علم نفس للنزوات يقوم على نظرية الليبدو ومجموع فرضيات متعلقة بمصير النزوات. لكن بينما كانت الفيزيولوجيا نقطة انطلاق فرويد، فإن البيولوجيا كانت كمنطلق أدلر ثم لاحقا علم الأعضاء بغض النظر عن الاعتبارات الاجتماعية.⁽¹²⁾

أوجز أدلر فكرته سنة 1908 عن الغرائز، لكن ليس إلى الوجهة التي ظنها فرويد الذي أعلن أن مصدر العصاب هو صراع بين الغرائز والقيم على مستوى الأنا. أما أدلر فيرى أن نقطة البدء والانتهاى ليست هي الغريزة الجنسية بل هي الذات الإنسانية التي تمتاز بالوحدة رغم تعدد مظاهرها، هي الشخصية التي تسعى لتحقيق الكمال، والغريزة الجنسية أو بالأحرى الوظيفة الجنسية هي إحدى الوظائف التي يتكون من مجموعها الإنسان فهي جزء خاضع كبقية الأجزاء للنظام الكلي للشخصية، كما أن غريزة العدوانية تكون مصدرا للتعبير عن النقص وهي غالبا مصدر طاووي يعتري الفرد فيظهر بظهور النقص والرغبة في التعويض.⁽¹³⁾

يعتبر أدلر من القلائل جدا الذين لم يقبلوا نظرية الليبدو إلا جزئيا. هو ما جعل أدلر يعترض بحمية متزايدة بنفس المقدار الذي كان "يحتس" به التحليل النفسي بصفة جازمة. لم يتخذ أدلر موقفه من باب معاداة النظرية الجنسية، بل لأنه أراد أن يبرز التعدد اللامحدود الذي يميز الحوافز الواعية واللاواعية للناس ورغباتهم وتصرفاتهم وسهوهم. وكان ينظر إلى المعطيات التي احتج بها فرويد لجعل عقدة "أوديب" نواة نظرية الأعصاب، من زاوية مغايرة تماما؛ فحسب أدلر يجب أو توضع هذه المعطيات في حد ذاتها في إطار علاقاتها مع المجتمع المتسلط ونوع السلوك الذي يحدده -هذا المجتمع- لأنه هو الذي يطبع كل الروابط الإنسانية.⁽¹⁴⁾

اقترح أدلر أنه يجب النظر إلى الجنس على أنه رمزي. في حضارتنا لا تميل النساء إلى أن تصبحن عصائيات لأنهن تطمعن في امتلاك عضو تناسلي ذكري بل لأنهن تحسدن الوضعية التفضيلية المبالغة للرجل في المجتمع. ولما تمنين أن تصرن رجالا متخليات عن أنوثتهن فإنهن تصبن باضطرابات عصائية: كالحيض المؤلم والعلاقات الأليمة وحتى السحاق، وهذه ما يعبر عن ردود أفعالهن الإسترجالية. الرجال الذين يُفَرطون (إفراط) في الاسترجال لا يستجيبون لقلق نابع من قلق الوجاء بل هم يعوضون تعويضا فائقا عن إحساسهم بالعجز كأفراد ذكور. وقدّر أدلر أن الأحلام تقر بثبات هذا الرد الفعلي الاسترجالي.

في مطلع جانفي سنة 1911 قدّم أدلر ثلاث محاضرات عرض خلالها أمام جمعية التحليل النفسي ما يتفق فيه مع مؤسس التحليل النفسي، وبشرح أوضح ما يختلف فيه معه حيث:

- رفض تأويل الحالة الأوديبيية على أنها رغبة الطفل في الاستمتاع بلذة جنسية مع أمه بل هي صراع رمزي.
- رأى أدلر أن كل الاضطرابات العصائية: "تهدف إلى السيطرة على شخص ما من المحيط"؛ أما بالنسبة للفرويديين فهذه ليست الأصل الرئيسي للاضطرابات وإنما تصادفت مع ما يعتقدونها آثارا جانبية مستحبة لمرض ما.
- أهمل أدلر في منظومته الكبت وعوض العلية بالغائية⁽¹⁵⁾
- استبعد أهمية الغريزة الجنسية ورمى بالليبدو إلى خارج وجدان الإنسان.
- اعترف بأهمية الأحلام في تأويل وعلاج الأعصاب النفسية، فكل إنسان يحلم لذلك ينبغي علينا أن نتحرى عن غرض الأحلام، فالحلم هو عبارة عن أداة ووسيلة التي تستثير الأحاسيس والمشاعر فعلياً أن نقب عن المعزى، وأن الاختلاف بين فكرة الحلم وفكرة الحياة الواعية للإنسان هو أن الأحلام لا تعارض مع حياة اليقظة فهما تسيران معا بطريقة متوازنة فلو أننا تطلعنا خلال اليقظة لتحقيق هدف التفوق فإنه من البديهي والضروري. إن كنا مضطربين في حياتنا فهذا سوف ينعكس على نومنا ومشغولين بنفس المشكلة خلال النوم حيث أن جميع الأفراد لديهم الهدف نفسه سواء في اليقظة أو في النوم وهذا يظهر في رغبتهم لتحقيق الهدف نفسه لذلك فالحلم ماهو إلا نتاج من نواتج "أسلوب الحياة" للفرد وفي الغالب ما يتفق معها في معظم الحالات.⁽¹⁶⁾
- خلال السهرات الثلاث المخصصة للمناقشة التي تسمح باستخلاص نتائج من المحاضرات، عندما بدت التدخلات مختصرة في الثنائية (غريزة جنسية - إرادة القوة) لم يسع أدلر إلا أن يحس أنه لم يفهم من قبل هؤلاء الفرويديين الأرثوذكس الذين تمسكوا بمهاجمة البدعة (الأدلرية) بشراسة. تركيزهم على تلك الثنائية لم يبد له خاليا من الدلالة وكان بإمكانه الرد على هذا التبسيط المخرف ونفيه كما كان يعرف جيدا موطن خطأ الآخرين وبالأخص الآخر. لكنه لم يفعل لأنه في الحقيقة لم يكن لديه سلاح يدافع به فخطوط توجهه لم تحدد إلا بعد الانفصال والقطيعة التامة مع الفرويديين.⁽¹⁷⁾

رفض أدلر ما اشترطه فرويد من تمسك بنظريته الأساسية، فالقول بأن: "آلية وحيدة للأنا هي العنصر الأساسي" يعد تبسيطا مجحفا، وأدلر لا يرضى أبدا بعقائد يعتبرها محدودة فهو الذي تخلى في شبابه عن اليهودية الأرثوذكسية لأجداده لأنها تتضمن حسبه انعزالية فكانت اليهودية عند أدلر جانب محدود، فإن جماعة فرويد كانت أكثر استبدادا.⁽¹⁸⁾

7. أعمال العالم النفسي ألفرد أدلر:

قرّر أدلر أن يتخلى عن منصبه كرئيس لجمعية التحليل النفسي بالإضافة إلى كل الوظائف التي كان يشغلها في الجمعية (كرئاسة تحرير المجلة ونشرها) وانسحب من الحلقة التي شكلها الأرثوذكس ثم تبعه تسعة من المبتدعين الآخرين نذكر على الأخص منهم: "كارل فولتمولر" و"الكسوندر نويز" و"إيرفين فيكسبيرغ" (الذي يُعتبر كتابه "علم النفس الفردي" أروع عرض للمذهب الأدلري) "فروشل.إ" (مبدع أسلوب لعلاج الاضطرابات اللغوية جعله جد مشهور) و"أوبنهايم" (الذي تولى رئاسة الاجتماعات الجماهيرية المنظمة من قبل المنشقين) وآخرون.

شكل المنشقون حلقة "المحللين النفسيين الأحرار" وأسسوا "الجمعية الحرة للتحليل النفسي". وشرعت الجمعية في نشر كتاباتها لدى دار النشر "راين هارت" بميونخ. كان يشارك في مناقشاتهم العديد من الفرويديين الأرثوذكس وهو ما لم يكن ليعجب فرويد الذي وجد أن الخط الفاصل لن يتضح أبدا.⁽¹⁹⁾

غيرت جمعية أدلر تسميتها إلى جمعية علم النفس الفردي التي نشطت خلال السنوات التالية لإنشائها ولكنه عانى من رد فعل مؤلم ورفض كعضو هيئة تدريس في جامعة فيينا وحكم على عمله بأنه مجرد أفكار تخمينية بعيدة عن الطابع العلمي.⁽²⁰⁾

في سنة (1916) استدعي أدلر لأداء الخدمة العسكرية كطبيب عسكري فتولت منذ ذلك الحين شارلت ستراتر مهمة نشر مجلة نشر علم النفس الفردي طيلة الحرب العالمية الأولى بمدينة زوريخ.⁽²¹⁾

عمل أدلر انطلاقا من سنة 1920 أستاذا بمدرسة المري الخاصة بجمعية أصدقاء المدرسة الحرة كما بدأ سلسلة محاضرات في مركز تربية البالغين بفيينا ومراكز التوجيه التربوي (إلى غاية

سنة 1934). وأصدر أول طبعة لـ "تطبيق ونظرية علم النفس الفردي" بميونخ. وبعدها بسنة أصدر أول عدد لـ " المجلة الدولية لعلم النفس الفردي". وفي سنة 1924 تحصل أدلر على شهادة مدرس للأقسام المسائية في المعهد التربوي بمقاطعة فيينا وتشكل هذه الشهادة علامة التقدير الوحيدة التي رخص أساتذة العاصمة النمساوية بإعطائها لهذا الرائد في علم نفس الوجدان والنفساني التربوي اللامع.⁽²²⁾

توصل أدلر إلى القناعة بأن مصير علم النفس الفردي سوف يلعب في أمريكا أكثر من أوروبا أو الاتحاد السوفياتي ففكر في نقل مركز حركته نحو أمريكا لكن في انتظار تحقيق هذا المشروع، حاول أدلر تقديم علم النفس الفردي إلى الجامعات الكبرى والمدن الرئيسية العالمية باقتناص وإتباع نافذين وبتأسيس جمعيات أطباء ومربين تضمن نشر مذهبه. بكل تأكيد كان مدفوعا إلى هذا بالرغبة في مضايقة التحليل النفسي الفرويدي حول هذه الوضعية التي كان سينفرد بها.⁽²³⁾

8. أدلر والدين:

انحدر أدلر من عائلة يهودية الديانة ولقبها الألماني 'الادار'. وهو يرادف 'العطار' بالعربية. ولكن كانت ديانة أدلر وأسرته ديانة شكلية ولم تترك أثرا لها في روحه. لما بلغ أدلر سن الرابعة والثلاثين تخلى عن ديانته اليهودية كليا واعتنق النصرانية البروتستانتية، وعلل هذا التخلي عن يهوديته كونها ديانة محدود ومقصورة لجنس واحد، رغم أن بعض أتباعه حاولوا أن يقدمون على أنه ملحد. ولكن الواقع يثبت العكس فالملحد لا يغير ديانته بديانة أخرى.

وقف أدلر في جميع التيارات التي تسعى لدراسة النفس البشرية مثلما يدرس أعضاء الجسم، وأصر على الاهتمام بالبعد الاجتماعي للإنسان بما في ذلك العوامل الثقافية والدينية. واعتبر أن "الغيبات جزء من علم النفس الفردي". وإعلانه لهذه النظرة جريئا، وجاءت مخالفة لنظرات الأغلبية من علماء النفس، لذلك يجب تمييز هذه النظرة وعلى شجاعته في إقراره تبعية نظريته لخلفية فلسفية. كما ينبغي تمييز التقدير الذي أولاه أدلر للدين، وهذا التقدير الكبير واصل على نهجه تلامذته الأوفياء منهم سلطان أمبروس وورودلف دريكورس الذي أقر أن المسار

التاريخ البشري قد أثبت أن الدين هو النهج الأكثر أهمية في تلبية حاجات الروحانية للإنسان، حيث وفرت الخبرة الدينية مشاعر قوية من التماسك والانتماء للإنسان. وأردف دريكورس أنه من خلال الدين نجح الإنسان في وضع نفسه فوق مصاعب الحياة اليومية ووسعت منظوره للحياة. كما أوضح أن للدين أهمية حاسمة للممارسة الاجتماعية لأن الأنظمة الدينية لها تأثير كبير على أفكار وأفعال أفراد المجتمع في الوقت الحالي. في سياق العولمة الأكثر شمولاً التي تحددها المنافسة القوية والأناية الفردية.

أقر أدلر أن مذهبه ليس مناهضاً للأديان أو معادي لها بل أبدى جل التواضع أمام إنجازاتها واعترف بفضلها وأسبقيتها واعتبر أن عمله العلمي مكملًا للعمل الديني وأن مبادئه متوافقة مع تعاليم الدين، حيث أكد أن العديد من العبارات في الكتابات المقدسة تمثل إثباتات ثمينة للنظرة العميقة التي تفرض ضرورة نفع الكائن للجماعة البشرية.

أوصى أدلر نفسه وأتباعه بضرورة التزام موقف الوسطية والابتعاد عن جحود كل مجهود يخدم الإنسانية واعتبر "أن من الواجب غير قابل للنقاش أن يحافظ علم النفس الفردي على موضعه الوسطي أن يجعل نتائجه في متناول كل من يهتمون بها.

بناءً على ما تقدم حاول أدلر أن يدرس علمياً مفهوم الله وكيف ينشأ مع الإنسان، حيث ربطه بحاجة نفسية لخالق خارق القوى مطلق الكمال، وأكد أن هذا الفهم يمكن التوصل إليه بالبحث العلمي وبالحدس الديني على حد سواء. فشرح أدلر في كتابه علم العيش بأن "تسطير هدف هو السعي نحو التشبه بالله. غير أن التشبه بالله هو الهدف المطلق، هو غاية الغايات إن صح التعبير". (24)

9. أدلر وفلسفة الإسلام:

تحدث ثور يوهنسن (2005، 2010) إلى أن الطبيعة البشرية حسب فلسفة الإسلام منسجمة مع مسلمات علم النفس الفردي حل التحديدية اللينة وابتغاء السمو والغائية والكلية والنزعة الاجتماعية، ومسائل الحياة التي ناقشها أدلر ونوقشت أيضاً في القرآن الكريم مفصلاً. وأوضح يوهنسن أن القرآن الكريم زود أتباعه بخطوط توجيه مفصلة حول الكيفية التي

يتوجب على الفرد أن يتعامل بها مع جماعته وأسرته. ومن أهم المبادئ التي توافق فيها الفرد أدلر والدين الإسلامي:

- لدينا كما ورد في القرآن الكريم هي سيادة النفس على البدن، وهو مبدأ يتطابق مع طرح ألفرد أدلر حول أهمية تحديد الحياة النفسية على الفسيولوجيا والوراثة.

- كما أكد الشرع الإسلامي بأن الناس أحرار في اختيار تصرفاتهم وتوجهاتهم ويتحملون عواقبها مصادقا لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾. (25) ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (26) وكذلك أدلر والأدليريون يؤمنون بأن الإنسان ذو قدرة الفرد على تحديد معتقداته وسلوكاته ومشاعرهم فيها ولذلك يؤمنون بأن لديهم القابلية لإجراء التعديلات والتغيرات الضرورية لإحراز التحسن النفسي. (27)

- إن التوجه الغائي لعلم النفس الفردي هو أيضا مبدأ من مبادئ الأعمال العميقة في الإسلام واعتبرت أن الأعمال بالنيات وجعلته أصل كل حركات النفس وسكناتها، كما جعلته محاسبة الإنسان عن أعماله. في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْذُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. (28) وعَنْ غُمَرَ - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ). (29) يقول أدلر في هذا السياق يقول أدلر أن الحياة النفسية للفرد محكومة بالهدف الذي يسطره لنفسه، وعليه تحمل نتائج قراراته، فكل الأشخاص يسعون نحو الإحساس بالقيمة ومثالية الذات التي تصبح القوة الدافعة خلف كل سلوك بشري.

- يعد ابتغاء السمو من المفاهيم التي اتفق على تجذرها في النفس الإنسانية العلماء المسلمون كما أطلقوا عليها حب الكمال. كذلك أدلر يرى أن الدافعين الأساسيين للحياة النفسية للإنسان، حيث أوضح أنسباخر أن المسعى القاعدي حسب أدلر هو السعي نحو الكمال، واعتبر أن ذلك جزء من الحياة عموما. (30)

- أوصى الدين الإسلامي بدور وأهمية العلاقات بين الناس في أن يكون الفرد محبا للآخرين ومتعاوناً معهم، حيث تطرق العلامة السيد محمد الطباطبائي للتعاون على أنه سلوك من مقتضيات الوجدان الإنساني، الذي بدوره أساساً يقوم عليه المجتمع البشري. فحقيقة المجتمع البشري تعود إلى تعاون أفرادها، وتعاضدهم فيما بينهم، إذ تتسق من خلال هذا التعاون أعمال الجميع وتستقر حياة الجميع وتؤمن احتياجات كل أفرادها. ⁽³¹⁾ وفي قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. ⁽³²⁾ ، فالدين الإسلامي شدد على التراحم والاتحاد والتعاون والإحسان وأن يحب المرء لأخيه كما يحب لنفسه. كذلك أدلر تطرق إلى أهمية العلاقات الاجتماعية واتخذ النزعة الاجتماعية كمعيار لسواء الصحة النفسية. فالسواء عند أدلر يتمثل في النمط المفيد اجتماعياً والقادر على حل مسائل الحياة بطرق خصبة مثمرة للفرد ولجماعته، أما النمط اللاسوي فهو الفرد العقيم اجتماعياً والذي يتهرب من الحلول التكافلية لمسائل الحياة ويجب عنها بطرق متمركزة على مصلحته الشخصية الآنية، بعيداً عن المنفعة العامة. ⁽³³⁾

- إن مسائل الحياة من الأمور المهمة في الدين الإسلامي فيما يحتاجه الإنسان إلى هذه العلاقة مع الآخرين المبينة على الصداقة والإحسان والتكافل شدد عليها ديننا وضرورة محبة الغير ومحبة الخير لهم. باعتبار مسألة الصداقة تمثل الإنسان في الصديق الذي يساعده وقت الضيق ويكون موضع سرّه وأنسه، كون الإنسان فرد اجتماعي لا يطيق العيش وحيداً بل يجب أن يعيش مع الآخرين، ففي الحديث عن الإمام عليّ (ع): "رَبِّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أَثَمَكَ". وذهب أدلر لنفس الفكرة فأعطى أهمية كبيرة لتربية الأطفال على روح لإيثار ورعاية الغير تنمو في المنزل والمدرسة وأن ما يسيء إليها هو أخطاء التي يرتكبها الناس في التربية وتنشئة الصغار على روح العطف والتعاون في بيئته فلو أحس الفرد بالمساواة بينه وبين أفراد أسرته، ولمس روح الألفة والصداقة التي ينبغي أن تجمع بين أفرادها وتذوق خير التعاون بين والديه ومعارفهم وجيرانهم، لنشأ متعاوناً مؤمناً بجدوى الاجتماع والتعاطف، لتنشئة المرء على العيش في المجتمع الكبير والعمل

على خيره. لذلك ينبغي على المرء إذن أن يشعر انه عضو فعال في الجماعة الإنسانية وأنه الحلقة يربط ماضيها بمستقبله. (34)

- مسألة العمل: إن العمل واجب شدد عليه الدين الإسلامي حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا حَتَّاتٍ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْتَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾. (35) وارتى أدلر أن توافق الفرد مع الجماعة التلاحم معهم في الحياة الاجتماعية يشعره بأنه عضو فعال في الجماعة الإنسانية وحلقة وصل تربط بين الأفراد، وتجعله يسعى لبذل جهده لأجل تحقيق الرفاهية والخير للجماعة التي ينتمي إليها من خلال انضمامه لجماعة العمل وتقاسم المهام الأساسية فيما بينهم لتحقيق غاياتهم المهنية وتوفير ظروف أحسن لضمان استمرارية التعاون بينهم وتحقيق الرفاهية للبلاد. (36)

- مسألة الحب والزواج: اعتبر الدين الإسلامي أن الزواج هو نصف الدين وأولى عناية فائقة بموضوع النكاح والزوجية، حتى بلغ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "النكاح سنّي، فمن رغب عن سنّي فليس منّي". (37) وكذلك أدلر تحدث عن أهمية الحب والزواج في العلاقات بين الأفراد واعتبر أنها مسألة مهمة تقي الفرد من الاضطرابات النفسية وتساعده على بناء أسرة وتحته على أن يكون فردا فعالا في المجتمع وذو قيمة.

صحيح أن أدلر لم يكن مسلما ولكن المبادئ الأساسية في نظريته تتشابه مع أحكام العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي، فالإسلام هو دين معاملات وأخلاق وهو أسلوب حياة حيث زدنا بكيفية التعامل مع الناس بمحبة والعيش سلام وبصحة نفسية جيدة، حيث اعتبره خياط (2018) نظام مفصل للقيم الأخلاقية والروحية والاجتماعية. وهذا ما اختلف فيه تماما ألفرد أدلر مع النظرية التحليلية الفرويدية.

9. وفاته:

انتقل أدلر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1934 وعمل في كلية لونغ ايلاند للطب واستمر يبذل جهد ليقوم دعائم علم النفس الفردي، وفي الأعوام الأخيرة تطور لدى أدلر الإحساس باضطرابات قلبية مما جعله يعيش حياة محدودة. خلال محاضرة له في ابردين لفظ

أدلر أنفاسه الأخيرة بعد سكتة قلبية، سقط إثرها على رصيف الشارع في الصباح الباكرة من يوم 28 ماي 1937 على بعد خطوات من فندقه بمدينة أبردين.⁽³⁸⁾

وفي سنة 1938 أصدرت الروائية "فيليس بوتوم" أول سيرة حياة - كاملة- لأدلر الذي تربطها به علاقة صداقة بعيدة المدى، وكان "مانس سيربر" قد تطرق إلى سيرته في كتاب سنة 1926. وسنة 1939 كان النحس لازال يطارد أدلر ومذهبه إذ قامت السلطات النازية بحظر جمعية علم النفس الفردي. وسنة 1946 تم فك الحصار عن كافة نشاطات جمعيات ومعاهد علم النفس الفردي إثر نهاية الحرب العالمية الثانية.⁽³⁹⁾

واليوم بعد مرور أكثر من 80 عاما على وفاته فإن هناك مستشارين نفسانيين تم تدريبهم على استخدام طرق وممارسات علم النفس الفردي في الكثير من دول العالم من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وإنجلترا وألمانيا والنمسا وسويسرا وحتى في استراليا وغيرها من دول العالم.... الخ.⁽⁴⁰⁾

10. خاتمة:

حاولنا عرض مسيرة حياة العالم النفساني ألفرد أدلر وتطرقنا إلى مختلف العقبات التي تعرض لها على مدرسته ونظريته وحتى على شخصه لأنه حاول إيصال فكرته التي كانت تتعارض مع مدرسة التحليل النفسي. وهذا ما جعل الهجوم من طرف التحليلين يشن ضده ولكن أدلر كان مصرا على نشر فكرته.

إن الإنسان بالنسبة لأدلر مخلوق اجتماعي وليس جنسي عكس ما جاء به التحليليين. حاول أدلر في الكثير من دراساته وأبحاثه في شرح فكرة أن الإنسان مدفوع برغبته في التكافل والتعاون من تحقيق السواء النفسي وأن أغلب مشاكلنا هي اجتماعية المنشأ والأعراض. لذلك فتنظريته أدلر تسعى لتحقيق النزعة الإنسانية ليصبح الفرد أحسن مما هو عليه وأن يتكيف مع مجتمعه وأن يفضل المصلحة الاجتماعية على المصلحة الأنانية. وهاته المبادئ العامة لنظريته شبيهة بالمبادئ الأساسية لتعاليم الدين الإسلامي. رغم أن أدلر ليس مسلما ولكنه توصل في

النهاية بعد العديد من الأبحاث والدراسات إلى أن النزعة الاجتماعية هي معيار الصحة النفسية، وهو بهذه الفكرة يتطابق مع مختلف المذاهب الدينية والأخلاقية.

11. قائمة المراجع:

- (1) سيد محمد غنيم. ب. س. سيكولوجية الشخصية محدثاتها. قياسها. نظرياتها. دار النهضة العربية. مصر. ص 593.
- (2) محمد السيد عبد الرحمان. 1998. نظريات الشخصية. دار قباء. القاهرة. مصر. ص 160.
- (3) أدلر ألفرد. 1927. الطبيعة البشرية. _ ترجمة: عادل نجيب بشرى. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. مصر. 2005. ص 286.
- (4) باربرا انجلر. 1991. مدخل الى نظريات الشخصية. ترجمة: فهد بن عبد الله. دار الحارثي. مكة المكرمة. السعودية. ص 101.
- (5) SPERBER , Manes . **Alfred Adler et la psychologie individuelle** . Ed. Gallimard . Paris 1972 – P40.
- (6) بربرا انجلر. 1991. مرجع سابق. ص 101.
- (7) SPERBER. OPCIT. pp41-42.
- (8) MACKENTHUN, Gerald. **Biographical Sketch of Alfred Adler**. www.home.t-online.de/home/Mackenthun
- (9) FRANS ,G.S et SELENICK,S.T. **Histoire de Psychiatrie**. PUF. France. pp.244-245.
- (10) SPERBER. OPCIT .pp.42-49
- (11) FRANS et SELENICK. OPCIT. p244.
- (12) SPERBER . OPCIT .pp.49-69.
- (13) أدلر ألفرد. 1929. الحياة النفسية. ترجمة: محمد بدران وآخرون لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. مصر. 1944. ص 1.
- (14) SPERBER . OPCIT .pp69-72.
- (15) FRANS et SELENICK. OP CIT. p247-248.
- (16) أدلر ألفرد. 1931. معنى الحياة. ترجمة: عادل نجيب بشرى. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. 2005. ص 133.
- (17) SPERBER . OPCIT. pp81-82.

- (18) FRANS et SELENICK. OPCIT. p249.
- (19) SPERBER . OPCIT.pp.289-290
- (20) SCHAFFER.Herbert . avant propos dans : Alfred Adler . **Ecole et psychologie individuelle comparée**. PBP.p291.
- (21) MACKENTHUN,Gerald. www..home.t-online.de/home/Mackenthun.
- (22) SCHAFFER . Avant propos dans Alfred Adler.**Education des enfants**.PBP. Paris.p 05
- (23) SPERBER . OPCIT.p297.
- (24) خالد خياط. علم النفس الفردي.(2018). علم النفس الفردي - اعراف نفسك بنفسك بنظرية ألفرد أدلر. مخبر التطبيقات النفسية والتربوية. جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2. الجزائر. ص ص 9-12.
- (25) سورة الكهف: الآية: 29.
- (26) سورة الإنسان: الآية: 3.
- (27) خالد خياط. مرجع سابق. ص 16.
- (28) سورة آل عمران: الآية: 30.
- (29) رواة البخاري ومسلم.
- (30) خالد خياط. مرجع سابق. ص ص 17-18.
- (31) سيد محمد الطباطبائي(1997). الاسلام الميسر موسوعة في العقائد والأخلاق والأحكام. ط 1 . ترجمة: جواد علي كسار. مؤسسة أم القرى. ص ص 289-299.
- (32) سورة المائدة: الآية: 2.
- (33) خالد خياط. حوحو ريان(2019). النزعة اجتماعية معيار السواء واللاسواء (المجزم نموذج). مجلة أبحاث سيكولوجية. العدد الأول. قسم علم النفس. قلمة. ص 84.
- (34) إسحاق رمزي. 1981. ص ص 152-156.
- (35) سورة يس: الآية: 34-35.
- (36) خالد خياط. حوحو ريان (2019). البطالة والصحة النفسية من منظور علم النفس الفردي. العدد الأول. شباب اليوم في ظل المواطنة وأزمة الهوية. من اعداد وتنسيق بحري صابر. المركز الديمقراطي العربي ألمانيا برلين. ألمانيا. ص 309.

- (37) محمد السيد الطباطبائي. مرجع سابق. ص 377.
- (38) محمد السيد عبد الرحمان. مرجع سابق. ص 161
- (39) خالد حياط. (2012-2013). دراسة منهاج العيش من خلال القصيدة الشعرية: دراسة نفسية فردية على شعراء صعاليك جاهليين. رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم النفس العيادي. جامعة منتوري. قسنطينة. الجزائر. ص ص 15-16.
- (40) أدلر ألفرد. (2005/1927). مرجع سابق. ص 287.